كتابة تاريخ الفلسفة
(بين أصالة الشرق وتمركز الغرب)

د. محمد عبد الله الخالدي
كلية الآداب/ قسم الفلسفة
جامعة بغداد

المقدمة

من السمات التي تتميز بها الفلسفة عن سائر العلوم الأخرى أنها متفتحة الأبواب لكل من يريد أن يرتادها، وقابليتها في إقحام أي شيء على موضوعها، حيث أنها لم تكن عبر تاريخها الطويل ذات موضوع معين أو مخصص لأنها تتسع لكل موضوع وتدرس كل موضوع بل هي أم العلوم، وسمة مثل هذه جعلت الفلسفة تأخذ أبعاداً شمولية وكلية في دراسة أي موضوع، مما أكسبها صفة ذاتية إيجابية لم يدانيها أي علم من العلوم الإنسانية.

وما نبغيه هنا هو دارسة تصور الفلاسفة لتاريخ الفلسفةى وما هو دور هذا التاريخ بالنسبة للفيلسوف الذي يرمي إلى إنشاء منظومة فلسفية خاصة به متميزة عن غيره من الفلاسفة.

المقصد الأول: أين، ومتى بدأ تاريخ الفلسفة؟

اختلف المؤرخون من قديم الزمان في بدأ تاريخ للفلسفة، أي من النقطة التي ابتدأ عندها تكوين الفلسفة، فقال أرسطو: "الفلسفة لا تبدأ من القرن السادس قبل الميلاد على يد طاليس"[١].

وقال زيوجانس اللائرسي: "إن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين"[٢].

نحن أذن بإزاء رأيين متعارضين، أخذ الأول منها مركز السيادة طوال العصور القديمة والوسطى حتى نهاية القرن التاسع عشر وابتداء القرن العشرين، حينما جاءت بحوث جديدة زعزعت بعض الشيء من هذا الرأي.

فالبحوث التي قام بها المستشرقون قد كشفت في السنوات الأخيرة عن وجود حضارة شرقية بابلية زاهرة، ونحن نجده في أحدى القصائد التي بقيت لنا من نتاج هذه الحضارة، قصيدة تسمى قصيدة (الخلق)، وفيها نجد كلاماً عن بدء العالم، يشبه في ظاهرة كلام (طاليس)، إذ يقول صاحب هذه القصيدة أنه قبل أن يكون للسماء اسم، وقبل أن يكون للأرض اسم، كانت الأشياء كلها مختلطة في الماء، فهذا الكلام يشبه كثيراً ما قاله (طاليس)، مما دعى هؤلاء المؤرخين إلى القول بأن الفلسفة قد نشأت في بلاد العراق بين النهرين، ولكن عبد الرحمن بدوي أيد الرأي الأول وأشار

---

[١] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٩، ص٨. وللمزيد ينظر إلى: حسام الدين الآلوسي، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، ص١١-١٢. وكذلك:و ارتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٦.

[٢] متي، الدكتور كريم، الفلسفة اليونانية، مطبعة الإرشاد، ط١، ١٩٧١، بغداد، ص٧.

إلى المعجزة اليونانية، أما حسام الآلوسي[1]، وكريم متي قالوا أن الفلسفة لقد بدأت في الشرق، ونحن نؤيد ونوافق آرائهم لأنه الفكر في شكل حلقات متصلة منذ حضارة الشرق واليونانية إلى الفترة المعاصرة.

وأفلاطون قال: "إن أصل الفلسفة ليس يونانية، إنما أصل الفلسفة بربري، أي غير يوناني"، وهذا النص يؤيد كلامنا إن بداية الفلسفة في الشرق ثم انتقلت إلى اليونان.

المقصد الثاني: صلة الفلسفة بتاريخها:

إن التاريخ الفلسفي هو تاريخ محاولات لكشف الحقيقة وليس تاريخ حقائق معينة يتوصل إليها الإنسان كما هي حال العلم، مما جعل الفلسفة تحمل عبر تاريخها الطويل أجوبة خاطئة وأجوبة صحيحة حول المشكلات الفلسفية المثارة من قبل الفيلسوف، فهذا الحافز النفسي الذي يدفع أي فيلسوف إلى أن يثير نفس الأسئلة التي أثارها فيلسوف سابق عليه، فأرسطو كان يرى أن لتاريخ الفكر السابق أهمية أعلى بكثير مما يرى سابقوه، فليست آراء الشعوب ولا آراء الفلاسفة الأوائل إلا مجرد أخطاء في أخطاء، بل هي وجهات للنظر فيها من العناصر و الأفكار ما يمكن للفيلسوف الذي يتأملها أن يضفي عليها وضوحاً أكبر خلال فحصه لها[2].

---

[1] الآلوسي، حسام الدين، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، ص٥-٧.

[2] أولف جيمن، المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ص١٤٧. وكذلك لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة اليونانية، ص٢٠-٢١.

وهذا دليل على أن التاريخ ما هو إلا تطوراً ذو معنى منذ البدايات الأولى غير الواضحة حتى الوصول إلى الوضوح والتميزات، فحسب هذا الاعتقاد فإن فلسفة أرسطو نفسه هي الهدف الطبيعي الواضح لكل الجهود السابقة عليه[١].

تلك النظرة العاجلة إلى تطور الصلة بين الفلسفة وبين بقية مرافق الحياة الروحية، تدلنا على أن الحدود التي يجب أن نضعها لتاريخ الفلسفة ليست حدوداً ثابتة، نستطيع أن نضعها مرة واحدة وكفى، بل لابد أن ننظر إلى هذه الحدود على أنها متغيرة حسب الزمان والمكان، وحسب الملابسات الخاصة لكل فيلسوف على حدة.

لم ينظر الفلاسفة الأوائل إلى أنفسهم نظرة تاريخية، بل كانوا يعتبرون أنفسهم ممثلوا الحقيقة وسط الكثرة الجاهلة.

ولا يظهر وعي تاريخي واضح متميز إلا عند أفلاطون، فأفلاطون يشير إلى بعض الفلاسفة القدماء الذي يرى أنهم كانوا على الطريق الصحيح، باعتبارهم خلفاء ورفقاء على طريق الفكر[٢].

ومع ذلك فلا يظهر أول تاريخ للفلسفة بالمعنى الكامل إلا مع أرسطو.

ومعنى هذا أن الفلسفة لا يمكن أن تنفصل **أولاً:** عن الأشخاص الذين انتجوها، **وثانياً:** عن الروح التي سادت العصر والنظرة التي نظر بها العصر إلى الفلسفة، **وثالثاً:** هنالك نسبية في تقدير الصلة بين الفلسفة وتاريخها[٣].

---

[١] المصدر نفسه، ص١٤٧.

[٢] أولف جيمن، المشكلات الكبرى في الفلسفة، ص١٤٧.

[٣] بدوي، عبد الرحمن، ص١٣.

يقول جون لويس إن تاريخ الفلسفة هو تاريخ مشكلة تتغير على الدوام، كما يتغير حلها، ويؤكد مؤرخ الفلسفة ليون روبان هذا أيضاً، إن تاريخ الفلسفة هو في صميمه تاريخ لمشكلات تتطور باستمرار، وتتغير معها حلولها دائماً وأبداً، وستيس يقول إن الحقيقة الفلسفية تكشف ذاتها عاملاً أثر الآخر في الزمن، ولا نجد الحقيقة الكاملة إلا في التسلسل الزمني الكامل.

إن مذهب أرسطو لا يلغي ويدحض بكل بساطة مذهب أفلاطون، بل أن أرسطو يكمل أفلاطون باعتباره مكمله الضروري[١].

وهذا يعني إن تاريخ الفلسفة هو تاريخ جدل ونقاش مستمرين، وهو ما يتميز به عن سائر تواريخ العلوم الأخرى، فعندما يقارن تاريخ الفلسفة مع تاريخ أي علم نلاحظ أن الأخير يسير في خط رأسي يرتفع دوماً إلى أعلى، على حين أن مسار الفلسفة يسير في خط أفقي يقف فيه كل مذهب إلى جوار الآخر، والذي أريد قوله هو إن تاريخ الفلسفة جزء لا يتجزأ من الفلسفة ذاتها حتى يمكن القول لا قيام للفلسفة بغير تاريخها، وإن الفلسفة لا تنفصل عن تاريخها.

يقول مؤرخ الفلسفة (أميل برييه) في كتابه الموسوم (تاريخ الفلسفة) من الشواغل الدائمة لمؤرخ الفلسفة أن يبقى على تماس بالتاريخ السياسي العام وبتاريخ جميع علوم العقل، بدل أن يتطلع إلى عزل الفلسفة بوسفها نهجاً منفصلاً عن سواه[٢].

---

[١] وار تر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩. وكذلك ميخائيل، صالح: فلسفة القدماء اليونان، ص٩-١٢.

[٢] أميل برهييه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج١، ترجمة جورج طرابيشي، ط١، بيروت، ١٩٨٢، ص١٣. وللمويد ينظر إلى: ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١١.

ولهذا فإن أية نظرة أولية إلى أعمال الفلسفة ينطلق بالاتصال والتطور، فما من فيلسوف يبدأ من عدم، وإنما يبدأ كل فيلسوف بموقفه الذي يرى أنه يحدد به شيئاً جديداً.

إن تاريخ الفلسفة ليس مشروعاً واحداً يتحقق تدريجياً وإنما هو سلسلة من المجهودات التي تتمتع بنوع من الإصالة وهو مجموعة من الإبداعات التي تتجدد بظروفها النوعية لا بغاية كلية.

إن الفلسفة اليونانية لم يتقادم عليها العهد حتى الآن وأن ثرواتها القيمة لا تتبع من وجهة نظر المؤرخ أو المهتم بالتراث القديم فحسب، بل أننا نتناول هنا أشياء حية بل أنها حقيقة لا تتقادم ولا تشيخ[1].

تبين مما سبق أن الفلسفة لا تنفصل عن تاريخها، بل هي جزء لا يتجزء عن تاريخها والعكس صحيح.

المقصد الثالث: تاريخ الفلسفة وصلته بالعلم والدين:

نجد من خلال دراسة تاريخ الفلسفة اختلافاً في الصلة بين الفلسفة وبين مرافق الحياة الروحية ففي العصور القديمة اليونانية كان العلم داخلاً ضمن نطاق الفلسفة ولم يكن هناك أي فاصل بين الأثنين، ثم ما لبثت حدود الفلسفة أن ضاقت، وبدأ العلم ينفصل شيئاً فشيئاً، حتى إذا ما جاء العصر الأخير من عصور الفلسفة اليونانية كاد الاستقلال بين الأثنين أن يكون تاماً، ثم بدأت صلة جديدة بين الفلسفة والدين وأزدادت هذه الصلة طوال العصور الوسطى رويداً رويداً، حتى خضعت الفلسفة للدين خضوعاً تاماً، في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم جاء العصر الحديث

[1] ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٧.

فأنفصل العلم عن الفلسفة نهائياً، وانفصلت الفلسفة عن الدين كذلك، وكان هذا آخر القرن الثامن عشر، بيد أن العلم قد عاد فأثر في الفلسفة، وأخذ أثره يعظم شيئاً فشيئاً طوال القرن التاسع عشر، حتى جاءت موجة من الموجات الشائعة في تاريخ الفكر كاد أن يزيل الفلسفة نهائياً، وكان ذلك في القرن العشرين، وتوقف وجود الفلسفة على العلم، أي أنه لم يعد للفلسفة وجود إلا في داخل العلم، وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية، أستقلت الفلسفة عن العلم من جديد، وأصبح لها وجود ذاتي وصار تاريخها مستقلاً قائماً بذاته[١].

إن الفلسفة على رأي أفلاطون تختلف عن الدين من جهة وعن العلم الوضعي من جهة أخرى، فهي ليست ديناً ولا علماً على الرغم من إنها ذات صلة وثيقة بكليهما، وهي في الواقع تشغل مكاناً متوسطاً بينهما.

فليست الفلسفة نظاماً من الأساطير الدينية، ذلك لأنه على الرغم من الأساطير قد تعالج نفس المسائل التي تعالجها الفلسفة، إلأ أنها تعالجها بطريقة تختلف اختلافاً تاماً عن طريق معالجة الفلسفة لها[٢].

إن الفلسفة تعالج الأشياء بطريقة عقلية صرفة في حين أن الدين يعالج نفس الأشياء بطريقة شخصانية روحية، وهي تختلف عن العلم كذلك في أنها تذهب إلى ما وراء حدود العلم لتبحث في أصل الواقع أو الحقيقة، في حين العلم يكتفي بمعالجة الظواهر وحسب[٣]، وكل مسألة دينية لاهوتية إذا بحثها الإنسان بطريقة

---

[١] بدوي، عبد الرحمن، ص١٤.

[٢] متي، د. كريم، الفلسفة اليونانية، ص٨.

[٣] المصدر نفسه، ص١٤.

عقلية صرفة تخرج من ميدان الدين لتدخل ميدان الفلسفة، وعلى العكس أن كل مسألة فلسفية إذا ثبت صدقها بالتجربة لا تغدو فلسفية بل تصبح علمية.

المقصد الرابع: فكرة التقدم أم الفكر يعيد نفسه:

أن تاريخ الفلسفة هو حركة مستمرة مرتبطة الأجزاء أشد الارتباط وأن ليس للمذهب الواحد في العصر الواحد غير لحظة من لحظات هذا التطور المستمر، وأن الفلاسفة وضعوا رابطة حركية بين المذاهب المختلفة بمعنى أن كل مذهب ما هو إلا تطور وصدور عن مذهب سابق عليه، والفلسفة على هذا الأساس لا تسير في تطورها نحو مذهب بالذات أو من أجل خدمة غاية معينة، كما تصور ذلك رجال القرن الثامن عشر، وإنما الفلسفة وكل الحياة العقلية تسير في تطورها نحو الغاية العامة للإنسانية كلها، وعلى رأس القائلين بهذه النظرة الجديدة إلى التاريخ الفلسفي أوجست كونت الذي قال: "إن علماً من العلوم لا يمكن أن يفهم من دون تاريخه الخاص، وهذا التاريخ مرتبط دائماً بتاريخ الإنسانية العام"[1]، ومعنى هذه العبارة أن العلوم التي عليها أي علم من هذه العلوم، في فترة من الفترات، مرتبطة بالحالة السابقة عليها تمام الارتباط، كما أنها في المستقبل ستكون معينة ومرتبطة بالحالة التي سيكون عليها العلم بعد هذه الفترة المعينة، وعلى هذا فلا نستطيع أن نفصل الماضي عن الحاضر، ولا الحاضر عن المستقبل، بل علينا أن نربط الجميع برباط واحد.

إذا كان مفهوم التقدم والتطور في الفلسفة، قد أخذ حيزاً كبيراً من أبحاث مؤرخي الفلسفة بالرغم من الانتقادات التي وجهت إليه، إلا أنه بقي هناك تساؤل

[1] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص٢٢.

مرتبط بهذا المفهوم، إلا وهو: أيكون لتطور الفلسفة قانون أم أن تعاقب المذاهب احتمالي ورهيف بصدفة الأمزجة الفردية؟ أن هذا التساؤل يعد أهم التساؤلات عند أميل برييه بقوله: "إن فكرة النظر إلى تاريخ الفلسفة في جملة تطوره ووحدته فكرة حديثة العهد نسبياً فهي مظهر من مظاهر مذاهب تقدم العقل البشري التي راجت في أواخر القرن الثامن عشر"[١].

وكما قلت آنفاً، فإن خير من يمثل هذا الاتجاه هما أوجست كونت وهيجل، ويتمثل هذا الدافع في النظر إلى تاريخ الفلسفة على أساس أنه وضع رابطة حرية بين المذاهب المختلفة على هذا الإساس لا تسير في تطورها نحو مذهب بالذات أو من أجل خدمة غاية معينة، وإنما الفلسفة، وكل الحياة العقلية تسير في تطورها نحو الغاية العامة للإنسانية كلها[٢].

ولابد هنا في نظر (كونت) أن نتصور التاريخ مستمراً، وهو من أجل هذا يقول بقانونه المشهور قانون الأطوار الثلاثة وهذه الأطوار هي: (الطور الخرافي أو اللاهوتي، والطور الميتافزيقي، ثم طور العلم الوضعي).

والطور اللاهوتي عند (كونت) لا يساوي المفهوم الديني، بل هو طريقة من طرق تفكير الإنسان عبر مراحل تطوره والنتيجة التي يريد (كونت) أن يوصلها إلينا بخصوص تاريخ الفلسفة هي ليس لنا أن ننظر إلى العصور القديمة أي العصر اليوناني على أنه أرقى في التفكير من العصر الوسيط، وذلك لأن التفكير العلمي لا يمكن أن يجيء إلا إذا مر الإنسان بالطور اللاهوتي، والطور الميتافزيقي، فنظرة

---

[١] أميل برييه، تار يخ الفلسفة اليونانية، ج١، ص١٧.

[٢] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص٢٢-٢٣.

(كونت) إلى تاريخ الفلسفة، إنما كان يقصد بها تاريخ الحياة الروحية والفكرية لعصر من العصور، والفلسفة ليست إلا مظهراً بارزاً لهذه الحياة[١].

ويوافق رأي (كونت) هذا رأي الفيلسوف (هيجل) حيث يرى أن تاريخ الفلسفة عند هيجل ليس إلا الروح المطلق حين ينظر إليها من الخارج، أي بوصفها تعرض نفسها في الزمان، فهو مثل كرة الثلج التي تزداد تضخماً عند تدحرجها بحيث تحمل الكرة المتدحرجة فتات الثلج الذي التقطته عبر مسيرتها[٢].

وهنا يقول (هيجل): "إن الفلسفة المعاصرة، أي المتأخرة تتضمن كل ما نتجه عمل آلاف السنين، وإنها حصيلة ما سبقها، فتاريخ الفلسفة هو تاريخ لنمو الفكر بفعل ذاته"[٣].

المقصد الخامس: النزعات الفلسفية في تاريخ الفلسفة:

ظهرت آراء مغايرة في النظر إلى تاريخ الفلسفة في القرن السابع عشر، حاول فيها أصحابها "أن يجدوا في الفلسفة وحدة، وأن يوفقوا بين المذاهب المختلطة وأن يعدوا هذه المذاهب الفلسفية صوراً للعقل الإنساني وهو يتطور ناشداً الكمال أو الحقيقة الكاملة"[٤].

فظهر كتاب جوكلنيوس: "التوفيق بين الفلاسفة" ليعبر عن هذا الموقف، وإلى جانب هذه النز عة، برزت نزعة جديدة هي النزعة التلفيقية، والتي ترمي إلى اختيار ما تراه حقيقة في كل مذهب، على أساس أن كل مذهب يحتوي جزءاً من

---

[١] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص١٥-١٦.
[٢] أميل برهيه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج١، ص١٧.
[٣] أميل برهيه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٣٩-٤٠.
[٤] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص١٥-١٦.

الحقيقة وما يتوجب على المؤرخ الفلسفي هو أن يجمع هذه الجزيئات التي تحتوي على الحقيقة، ويتميز القرن السابع عشر أيضاً بقيام نزعات أخرى تهتم بتاريخ الفلسفة وهي النزعات التي لم تقبل بالتوفيق أو بالتلفيق، بل كانت نزعات نقدية تكتنفها روح التقدم، فكانت تصرح بأن المهم في تاريخ الفلسفة معرفة الصلة الوثيقة التي تربط هذا المذهب المعين بذاك الآخر[١].

والنتيجة التي تهدف إليها النزعة النقدية مفادها إن هناك تطوراً لتاريخ الفلسفة، وإن هذا التطور يسير على نظام خاص وإن النظام مرتبط بفكرة التقدم.

المقصد السادس: خصائص الروح اليونانية:

أراد (نيتشه) أن يسمي الحضارة اليونانية بأسم يعبر عن خصائصها العامة كلها فأعطى لها أسم الحضارة أو الروح الأبولونية نسبة إلى (الآله أبولو) الذي يمثل الروح اليونانية من بين جميع الآلهة، أصدق تمثيل، إلا أنه لم يقتصر على هذه التسمية، بل عارضها بتسمية أخرى هي الروح الديونيزوسية نسبة إلى (الآله ديونيزوس).

وهذه التفرقة بين الروح الأبولونية والروح الديونيزوسية تقوم على أساس أن الرو ح الأبولونية هي روح الانسجام، بينما الروح الديونيزوسية هي روح الاختلاف والفوضى، وعلى هذا فبينهما فضيلة الاعتدال (سوفروسونية)[٢].

وقد أخذ (اشبنجلر) التسمية بأسم أبولونية، وقصر هذه التسمية وحدها على الروح اليونانية، ونجد هذه الروح تظهر في جميع مرافق الحياة الروحية اليونانية، من

---

[١] أميل برهيه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٧. .

[٢] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص٣٧.

علم وفن ودين وسياسة وفلسفة، وأول ما تمتاز به هذه الروح هو أنها كانت مرتبطة في اللحظة الحاضرة لا تعرف الماضي، ومرتبطة في الجسم بوصفه حاضراً في المكان، وعلى هذا الأساس نراها لا تعرض الماضي[١].

وإذا انتقلنا إلى الفلسفة، وجدنا أن الروح اليونانية لم تستطيع أن تتصور الزمان والمكان على إنهما لا نهائيان، وكذلك الحال في الدين، لم يكونوا يتصورون الله كما تصورته المسيحية فيما بعد بحسبانه لا نهائياً أو هو اللانهائي، بل كانت تمثل الآلهة على صورة إنسانية، أي على صورة نهائية (على أساس أن الإنسانية متناهية).

والخاصة الثانية التي تمتاز بها الروح اليونانية هي خاصية الانسجام، وهي الخاصية الرئيسية لهذه الروح، والتي تعبر عنها لفظة أبولونية[٢].

وفي الفلسفة اليونانية نرى فكرة الانسجام قد سادت كل التفكير اليوناني، وكل فيلسوف يحاول أن يحقق فكرة الانسجام في كل مذهب يقول به وكل نظرية يضعها ففي الأخلاق نجد فضيلة الاعتدال هي الأولى والرئيسية، ومعنى هذه الفضيلة الانسجام بين مختلف قوى النفس[٣].

وهنا نلاحظ أن هذه العلاقة مرتبطة بالصفة الأساسية التي قررناها من قبل وهي صفة الانسجام، تلك التي كانت الروح اليونانية تنشدها في كل ما تحاول فهمه أو عمله، وذلك تابع بالضرورة لخصائص الروح الأبولونية كما قدرناها، ولهذا نرى

---

[١] بدري، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني ، ص٣٧.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٨.

[٣] المصدر نفسه، ص٣٨.

أن الصلة بين الطبيعة الخارجية الإنسانية هي صلة الانسجام، وأنه ليس ثمت تعارض بين كلتا الطبيعتين.

فالروح اليونانية هي أول روح تحررت من نير الطبيعة الخارجية، وجعلت ثمت مجالاً في تصورها للطبيعة الخارجية إلى جانب الطبيعة الإنسانية.

ومن هنا يتضح الفارق الضخم بين الروح اليونانية من جهة والروح المسيحية والروح الغربية الحديثة من ناحية أخرى، فالروح المسيحية كانت تنظر إلى الصلة بين الإنسان والطبيعة أو بين الروح والجسم – على حد تعبيرها – ونظرتها إلى شيئين متعارضين، متضاربين، وأن الخلاص هو بالقضاء على أحد الطرفين والمقصود به هنا الطرف الثاني[1].

وكذلك الحال في الروح الحديثة، إذ نجد النضال شديداً بين كلتا الطبيعتين، وأن كان النضال قد انتهى إلى ما انتهت عليه الروح اليونانية من الجمع بين الطبيعة الخارجية والطبيعة الإنسانية، فإن الفارق بين موقف الروح اليونانية والروح الحديثة هو في أن ذلك كان صادراً طبيعياً عن الروح اليونانية، بينما تصدر الروح الغربية الحديث تبعاً للنضال الذي قامت به ضد الروح المسيحية[2].

المقصد السابع:أدو ار الفلسفة اليونانية:

يجب علينا أذن أن نقسم تاريخ الفلسفة إلى أدوار فما هي هذه الأدوار؟

الرأي السائد في القرن التاسع عشر هو أن الفلسفة اليونانية تبدأ بـ(طاليس)، ويبدأ بعد ذلك الاختلاف في تحديد الأدوار، فنجد أولاً (أست، وركسنر، وبرانس) بدأوا بتقسيم الفلسفة اليونانية على أساس فكرة الجنسية، فاليونانيون ينقسمون إلى

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، ص٤١-٤٢.

[2] المصدر نفسه، ص٤٢.

فرعين هما: الايونيون والدوريون، أما الايونيون فيمتازون بالواقعية، بينما الدوريون يمتازون بالمثالية، وعلى أساس هذا قسم الأولون أدوار الفلسفة اليونانية إلى ثلاثة: فهناك العصر الأيوني ثم العصر الدوري ثم العصر الخليط بين الأثنين وهو العصر الأتيكي.

وقال برانس أن تطور الفلسفة اليونانية قد تم بوجود العنصرين معاً[١].

وقسم هيجل عصور الفلسفة اليونانية إلى ثلاثة أدوار، الأول: يبدأ من طاليس و ينتهي بأرسطو، ثم يبدأ العصر الثاني: ابتداءً من المدارس التي تلت أرسطو وهي الرواقية والابيقورية والشكاك سواء منهم القدماء والمحدثين، والعصر الثالث: هو عصر الأفلاطونية المحدثة[٢].

والأساس في هذا التقسيم هو منهج هيجل الذي تصور على أساسه التطور الروحي للإنسانية، فإنه يقول بالوحدة المطلقة قد وصلت إلى أعلى درجة من درجات تحققها، عند أرسطو، وبعد أرسطو بدأت تنحل إلى شيئين متعارضين إلى الموضوع ونقيض الموضوع، ثم إلى مركب الموضوع فأصبحت الفكرة المطلقة وحدة من جديد تم على أيدي الأفلاطونية المحدثة.

وقد قسم اتسلر أدوار الفلسفة اليونانية، حيث يبدأ العصر الأول عند سقراط، ويبدأ الثاني عند أرسطو، والعصر الثالث المدارس التي تلت أرسطو.

---

[١] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر، ص٥٨.

[٢] المصدر نفسه: ص٥٩.

وقسم الدور الثالث إلى ثلاثة أدوار: الأول يشمل الابيقورية والرواقية والشكاك، والثاني يشمل نزعة التلفيق ثم الرواقية الرومانية والشكاك المتأخرين، والثالث يشمل الأفلاطونية المحدثة[١].

ونستطيع أن نلخص ذلك كله بعبارة: إن الذات كانت هي الموضوع في الدور الأول مختلطين لا تفرقه بين الواحد والآخر، وفي الثاني تحللت الذات من الموضوع بعض الشيء وانتهت إلى الوجود الحقيقي وهو وجود أعلى من الذات ومن الموضوع معاً، وجاء الدور الثالث ففرق أكثر وأكثر بين الموضوع وبين الذات، حتى جعل الفلسفة مستقلة أستقلالاً تاماً مكتفية بنفسها[٢].

المقصد الثامن: إشكالية المنهج في تاريخ الفلسفة:

انتهج سقراط منهجاً جديداً في البحث والفلسفة، أما في البحث فكان له مرحلتان تدعيان (التهكم والتوليد)، ففي الأولى كان يتضح الجهل، ويتظاهر بتسليم أقوال محدثيه، ثم يلقي الأسئلة ويعرض الشكوك، شأنه من يطلب العلم والاستفادة، بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال الأزمنة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم في التناقض ويحملهم على الإقرار بالجهل، فالتهكم السقراطي هو السؤال مع تصنع الجهل أو تجاهل العالم، وغرضه هو تخليص العقول من العلم السفسطائي أي الزائف وإعداده لقبول الحق[٣].

---

[١] المصدر نفسه، ص٦٥.

[٢] بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر، ص٦٨.

[٣] كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص٥٢.

فينتقل إلى المرحلة الثانية، فيساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيباً منطقياً على الوصول إلى الحقيقة التي أقروا إنهم يجهلونها، فيصلون إليها وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم استكشفوها بأنفسهم، فالتوليد هو استخراج الحق من النفس وكان سقراط يقول في هذا المعنى أنه يحترف صناعة أمة، وكانت قابلة– إلا أنه يولد نفوس الرجال.

وأما في الفلسفة فكان يرى لكل شيء طبيعة أو ماهية هي حقيقة يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة، ويعبر عنها بالحد، وأن غاية العلم إدراك الماهيات أي تكوين معان تامة للحد[١].

أما أفلاطون فإن منهجه في الفلسفة هو التوفيق والتنسيق: لم يرى في تعارض المذاهب سبباً للشك مثل السفسطائية، وإنما وجد أنها حقائق جزئية، وإن الحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينهما وتنسيقها في كل مؤتلف الأجزاء، وطريقة التوفيق حصر كلوجهة في دائرة وإخضاع المحسوس للمعقول، والحادثة للضروري[٢].

فحدّ الجدل بأنه المنهج الذي به يرتفع العقل من المحسوس إلى المعقول دون أن يستخدم شيئاً حسياً بل الانتقال من معان إلى معانٍ بواسطة معان، فالجدل منهج وعلم يمتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى وبالعكس[٣].

أما أرسطو يستخدم المنهج الرياضي لأن كتبه العلمية جافة مجهدة موضوعة بلغة دقيقة، وليس فيها حوار ولا قصص ولا شيء مما يتميز به عن منهج أفلاطون[١].

---

[١] كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص٥٢–٥٣.

[٢] المصدر نفسه، ص٦٨.

[٣] المصدر نفسه، ص٦٩.

أما (رسل) يقول في كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية) أن أي عرض لتاريخ الفلسفة يمكن أن يسير على أحد الطريقين: فأما أن يتبع السرد البحت مبنياً على ما قاله الفيلسوف والعوامل التي أقرت في ذلك، أما أن يجمع بين السرد وقدر معين من الحكم النقدي، و (رسل) نفسه يأخذ بالطريق الثاني في دراسته لتاريخ الفلسفة[٢].

الخاتمة

اتضح من سير البحث في تاريخ الفلسفة ومواقف الفلاسفة منه، أنه يشكل العمود الفقري لكل تفلسف يريد الفيلسوف أن يتخذه أزاء الفلسفات الأخرى، كما إن هذا التاريخ يتمتع بصفة متميزة، لأن الفيلسوف وهو يتفلسف ينقطع عنه انقطاعاً إنشائياً ليعود إليه فيما بعد ويستند إليه في تثبيت دعائم مذهبه وتميزه عن غيره من المذاهب الفلسفية المعاصرة والسابقة عليه، ولتاريخ الفلسفة صفة الشمولية والكلية والسرمدية أي أن الفيلسوف يتعامل معه تعاملاً إيجابياً، فلا يشكل عائقاً أمام تقدمه كما هو الحال في تاريخ العلم، فتاريخ الفلسفة أذن جزء من الفلسفة ولا ينفصم ولا ينقطع عنها بأي حال من الأحوال.

---

[١] المصدر نفسه، ص٦١٧.

[٢] رسل، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٥-٣٠.

المصادر

١. الآلوسي، حسام، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، ساعدت الجامعة على طبعه.
٢. أميل برهييه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج١، ترجمة جورج طرابيشي، ط١، بيروت، ١٩٨٢.
٣. أولف جيجن، المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون تاريخ.
٤. بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتب النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٩.
٥. رسل، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج١، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
٦. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، ط١، بيروت، ١٩٧٧.
٧. لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط٣، بيروت، ١٩٧٣.
٨. متي، د. كريم، الفلسفة اليونانية، مطبعة الإرشاد، ط١، ١٩٧١.
٩. ميخائيل، صالح، فلسفة قدماء اليونان، مكتبة الآنجلو المصرية، بلا طبعة، ١٩٥٩.
١٠. وارتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٨٤.